حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية
ISSN: 1112-7880 EISSN: 2602-5361
المجلد 19/العـدد 1 (جوان 2025)، ص329- 345

الترجمة الفلسفية ورهانات التثاقف الحضاري عند بول ريكور

Philosophical translation and the stakes of cultural acculturation in Paul Ricoeur

الشريف زروخي*[1]
[1] جامعة سطيف2 (الجزائر)، c.zerroukhi@univ-setif2.dz

تاريخ الإيداع: 2025/02/15 تاريخ القبول: 2025/04/27 تاريخ النشر: 2025/06/01

ملخص:

تتناول الدراسة آليات الحوار والتواصل البين ثقافات والحضارات، وكانت الترجمة الفلسفية إحدى أهم الوسائل. فالترجمة ليست مجرد نقل للنصوص من لغة إلى لغة مغايرة، بل فعل تأويلي مزدوج، يتيح التقارب مع الآخر ومحاولة فهمه دون الهيمنة عليه، وفقًا لمفهوم "حق الضيافة" عند بول ريكور. ورغم دورها في تعزيز الحوار والتفاهم، تواجه الترجمة الفلسفية تحديات ورهانات إبستيمولوجية، إذ تتطلب توفر كفاءات عالية في استيعاب الفكر الفلسفي وجهازه المفهومي والتفاعل معه. والإشكالية المطروحة اليوم هي كيفية مأسسة الترجمة والاستثمار فيها لتعزيز التفاهم الثقافي. لهذا تناقش هذه الورقة أطروحة ريكور عبر ثلاثة محاور: تجربته في الترجمة، أخلقة الترجمة، والترجمة كأفق للحوار والتسامح، والهدف المحقق هو أن فعل الترجمة يعزز الحوار الثقافي ويتيح فرصة للتفاهم في أفق الاختلاف كحق طبيعي للجميع.

كلمات مفتاحية: *الترجمة، الحوار، التسامح، الثقافات، التفاهم.*

Abstract:

The study examines intercultural dialogue, highlighting philosophical translation as a key mechanism. Translation is not merely linguistic transfer but a dual hermeneutic act that fosters engagement with the other without domination, aligning with Paul Ricoeur's "right of hospitality." Despite its role in promoting understanding, it faces epistemological challenges, requiring deep comprehension of philosophical thought. The central issue is how to institutionalize and invest in translation to enhance cultural dialogue. This paper explores Ricoeur's perspective through three themes: his translation experience, the ethics of translation, and translation as a space for dialogue and tolerance, emphasizing its role in fostering understanding amid diversity.

***Keywords**: Translation; Dialogue; Tolerance; Cultures; Understanding.*

* المؤلف المرسل: الشريف زروخي، الإيميل : c.zerroukhi@univ-setif2.dz

– مقدمة:

سعت المجتمعات عبر التاريخ إلى التأسيس لثقافة الحوار والتواصل بهدف تجاوز سوء الفهم المتبادل بين الشعوب، وذلك عبر جملة من الآليات والوسائل وكانت الترجمة إحدى تلك الوسائل، بكون الترجمة في الأصل فن إعادة تأويل أولا للنص الأصلي وثانيا تأويل للذات، فهي فعل مركب يهدف إلى التقارب والتفاهم مع الآخر المغاير عبر فتح النص على ممكنات كثيرة، كما أنها ليست محاولة للهيمنة على الآخر وتقريبه للذات وإنما هي فعل حواري يفتح الثقافات على بعضها البعض ويضمن ما يسمى بحق الضيافة بلغة بول ريكورPaul Ricœur(1913-2005)، وتظل الترجمة في نظرنا فعل حواري وتفاعلي وتواصلي واستكشافي يساعدنا على تقريب المسافات وتبادل الخبرات، لكن الإشكالية التي تواجهنا اليوم تتعلق بكيفية الاستثمار في فن الترجمة لإعادة تأسيس الثقافات في أفق فلسفة الحوار والتسامح والتعايش وفي ظل الاعتراف بالاختلاف كحق طبيعي؟

وفي هذه الدراسة سنحاول الإجابة عن الإشكالية المطروحة من خلال أطروحة بول ريكور مركزين على النقاط التالية:

- ريكور وفن الترجمة كآلية للتواصل.
- في ضيافة الترجمة أو في إيتيقا فعل الترجمة.
- الترجمة أفقا للتسامح والحوار والاعتراف.

1. بول ريكور وفن الترجمة كآلية للتواصل:

كانت علاقة ريكور بالترجمة علاقة مبكرة، لأنه منذ بداية التأسيس لمشروعه الفلسفي أدرك ضرورة الانفتاح على تجارب الغير، مهما كان هذا الغير مختلفا يبقى في رأيه شرطا لازما لمعرفة الذات. والآخر المغاير سكن مخيلة ريكور حتى اكتسب حق الضيافة، وإذا كان الغير حاضرا كشرط معرفي ووجودي فينبغي الاقتراب منه بغية إيجاد مساحة للفهم المتبادل، وقد اتخذ الفهم معنى التواصل مع الآخر ومشاركته تجربته الإنسانية، لأن الذات البشرية تملك إمكانية إعادة تجربة الآخر في ذاتها من خلال تمثل تجربتها ومعايشتها من جديد، عبر الاحترام المتبادل[1].

ومن هذا المنطلق عُنِيت فلسفة ريكور بالتنظير لمعنى الحياة في الوجود، ويمكن إدراجها ضمن التفكير السياسي وفي دائرة الفينومينولوجيا والفلسفة التحليلية والأنجلوسكسونية[2]، مما يعني أننا أمام مشروع تتداخل في بنيته كل الفلسفات حسب تلميذه François Dosse، الذي يرى أن بداية أستاذه كانت مع ترجمة أعمال مارسيل غبريال وعمره 20سنة معتمدا الأسلوب السقراطي الحواري، ومتأثرا بـ"هوسرل" HUSSERL، حيث ترجم كتابه إلى الإنجليزية «الأفكار التوجيهية»، فكان سبيله إلى المنهج الفينومينولوجي في سنوات الثلاثينيات، وكتب كتابا حول هوسرل «فينومينولوجيا هوسرل 1925»، ولعب ريكور دور أكبر مترجم لأعمال هوسرل إلى الفرنسية، ففي 1949 أصدر أطول مقال حول «هوسرل والحس التاريخي Husserl et le sens de l'Histoire»، وفي مراجعة «الميتافيزيقا والأخلاق Métaphysique et éthique »، كما ترجم كتاب «أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا المتعالية *La crise des sciences européennes et la phénoménologie transcendantale* »[3].

وفعل الترجمة الذي مارسه بول ريكور ساعده على بناء فلسفة للتأويل من داخل فضاء الفينومينولوجيا، ومن ثمة التأسيس لانطولوجيا الفهم عبر ابستيمولوجيا للتأويل، وبلور أنتروبولوجيا فلسفية من خلال الفلسفة التأملية، ويمكننا أن نورد شهادة "لجاك دريدا Jacques Derrida" أين يصرح في إحدى حواراته تحت عنوان «الشر والمغفرة le mal et le pardon» من تنظيم "أنتوان غاربون Antoine Garapon" عن موسوعية فيلسوفنا وقدرته على التواصل عبر الترجمة مع كل الفلسفات قائلا: "استطاع ريكور أن يخترق كل المشكلات: الأخلاق، التحليل النفسي، الفينومينولوجيا، الهيرمينوطيقا، اللاهوت. اخترق التاريخ، وتاريخ الفلسفة، واخترق التأويل، وتواصل مع أرسطو، وأوغسطين، وكانط، وياسبرز، وهوسرل، وهيدجر، وليفيناس، وحاور فرويد، وكل الفلسفات الأنجلوسكسونية...ولم تتوفر جرأة وشجاعة ريكور لدى الكثير من الفرنسيين"[4].

أكد ريكور طيلة مشروعه على ضرورة ودور التوسط التفكري (médiation réflexive)، هذان الكلمتان كما يقول جورج زيناتي تخترق كل مشروعه. وكلمة تفكرية (réflexive) اشتقت من (réflexion) وتعني أولا الانعكاس وثانيا التفكير. والتفكر لا يعني التأمل النظري المحض، وإنما يشمل كل المجهود الذي تقوم به الذات لفهم ذاتها. عبر اكتشاف تجربتها، و"التفكرية

تدعو الذات والكوجيتو إلى المرور عبر الطريق الطويل، وعبر توسط الغير. والغير هو كل التصورات والرؤى التي يملكها الآخر عن الوجود. والأولوية لهذا التوسط وليس لغرور الذات"[5]. وحاول بول ريكور تفكيك المركزية الغربية التي مركزت العالم في مفاهيمها وتصوراتها ورؤيتها متنكرة للغير بكونه المختلف الذي يملك حق تأسيس رؤية حول ذاته والوجود. وهو ما يبرر الموقف الوسطي الذي اختاره بين فينومينولوجيا هوسرل المفرطة في الأنا، ووجودية سارتر. ثم البنيوية من فوكو إلى ألتوسير إلى دريدا. بإعلانهم موت الذات ونهاية المؤلف لصالح البنية. قائلا "الذات لم تمت رغم أنها خرجت مجروحة، لا يمكن محوها، لكنها لم تعد كما كانت. والذات التي ألهها كوجيتو ديكارت وسحقها شك نيتشه خرجت جريحة بتخليها عن حقيقتها المطلقة عندما قبلت بتوسط الغير"[6].

أكد ريكور على أن الطريق المباشر لم يعد ممكنا لمعرفة الذات على الطريقة الديكارتية، والمعروف أن ديكارت من بين الذين ساهموا في صناعة الأنا الغربية وتضخمها. واقترح ضرورة التواصل مع الآخر. عبر ثلاثة مراحل فيها تعيد الذات اكتشاف ذاتها، فهناك لحظة الذات في مواجهة الأنا. ميز فيها ريكور بين الذات والأنا في كتابيه(بعد طول تأمل، والذات عينها كآخر)، كما ميز بين هوية ذاتية تتغير وتبقى في الوقت عينه محافظة على ذاتها، رغم مرور الزمان. وبين هوية ثابتة لا تتغير ليست هي الذات وتسمى بالإنجليزيةthe sâme وتختلف عن the self، وتسمى بالفرنسية (الهوية)le même، وتعرف في العربية بالعين أو ما هو عينه أو العينية، وهي أقرب إلى مفهوم الجوهر الذي لا يتغير ويظل محافظا على ما هو عليه، على الرغم من مرور الزمان. والهويتان تنتميان إلى حالتين مختلفتين من الوجود، فالهوية الثانية تنتمي إلى عالم الأشياء وهي متاحة لنا نتصرف فيها كما نشاء، أما الهوية الثانية الذاتية، فتنتمي إلى الوجود الذي لا يستطيع إلا أن يطرح الأسئلة حول وجوده[7].

تبحث الذات(soi) دائما عن عالمها الأنطولوجي، وعن وضعها الأخير. بعد أن أنزل نيتشه سيد الارتياب الإذلال الأكبر بالأنا النرجسية. كما تمتاز الهوية الذاتية بقدرتها على استعمال اللغة والتغير في الزمن. والهوية الذاتية تدخل في تكوينها عناصر خيالية، فيحصل ديالكتيك بين الهوية الذاتية والهوية العينية(هوية الثبات)، والطبع هنا هو الذي يرافق الهوية الذاتية كهوية عينية، فهو الوحيد الذي لا يتغير عبر الحياة كقدر. والهوية الذاتية تدرك عبر

الآخر القريب والآخر البعيد، ويرى ريكور أن الأمر سيختلف :"لو نحن جمعنا بين كلمة الغيرية مع الذاتية...إن الواحدة تدخل في الأخرى"[8]، وتحتوي الذات العينية على الغيرية إلى درجة الحميمية ولا يمكننا أن نفكر في أحداهما إلا عبر الأخرى على الطريقة الهيغلية.

ويصل بول ريكور إلى الإقرار بأنَّ "تقدير الذات مرتبط باحترام الآخر"[9]، القريب المباشر(أنا وأنت)، والقريب آخر البعيد هو أي إنسان. فالأول محكوم بالمساواة والثاني بفكرة العدالة القائمة على الإنصاف. وبهذا التحديد الدقيق لمفهوم الذات والهوية والأنا، يكون ريكور قد تجاوز التعريف الديكارتي البسيط للأنا، مؤسسا لمفهوم جديد وهو الاعتراف المتبادل بين الذوات كأفق للحوار والتسامح، اعتراف لا يلغي الاختلاف وإنما يعمل على اعتباره حق للجميع[10].

إن فلسفة الاعتراف بالمختلف كونه أنا لها رؤية ينبغي الانفتاح عليها يعني ضرورة:" تحول التفكير عن الخط المباشر ومروره بالتحليل ثم ديالكتيك الهوية الذاتية والهوية العينية، وبعدها ديالكتيك الذاتية والغيرية"[11]. تستهدف المعنى الخفي من خلال المعاني المعطاة في النصوص، هكذا رفض ريكور ادعاء المركزية الغربية المؤسسة على الكوجيتو الديكارتي القائل بالمعرفة المباشرة. معتبرا معركة الكوجيتو الديكارتي منتهية تخطاها الزمن. وهو ما أكده ريتشارد كيرني في (دوائر الهيرمينوطيقا) معتبرا ريكور من دعاة الانفتاح على الغير والمختلف. وهو يقترح علينا :"مفهوم الذات بوصفها آخر Self as anther عوضا عن هيمنة الأنا الترنستندالية... ومن ثم يمكن القول، من الآن فصاعدا. إنه قد تم تدمير نموذج الكوجيتو الديكارتي بوصفه" سيادة وتملكا" تدميرا نهائيا"[12]. الذات مطالبة بتجاوز الوعي الزائف، بحثا عن معناها عبر تأويلها لوساطة العلامات اللغوية، وعبر هذه المنعطفات الكبرى لتأويل تجارب الغير، وعبر ترجمة اللغات وتأويلها يمكن أن تعود الذات إلى ذاتها، هذا السفر الطويل عبر الترجمة يجعل الذات أكثر انفتاحا[13].

بدأت رحلة ريكور مع الترجمة كما أشرنا سابقا عندما ترجم أعمال الألماني إدموند هوسرل لكنه توقف عند الكثير من الإشكالات منها: هل الترجمة هي مجرد نقل نص من لغة إلى لغة مغايرة؟ هل الترجمة فعل تقني بحت؟ هل كل النصوص قابلة للترجمة أم توجد نصوص ممتنعة عن الترجمة؟ ماهي أشياء النص القابلة للترجمة والغير قابلة للترجمة؟ هل يستطيع

المترجم أن يقول كل ما يريد قوله النص؟ كيف يستطيع المترجم الجمع بين المتناقضات؟ بين الأمانة والخيانة؟ الخصوصية والكونية؟ كيف يمكن أن يتجاوز إشكالية السياقات التي أنتج فيها النص والسياقات التي يترجم ويدمج فيها؟ هل يمكن أن يكون المترجم بمثابة هرمس وسفيرا للتسامح والتعارف والاعتراف؟

تناول ريكور سؤال الترجمة في الكثير من أعماله وأفرد كتاب سماه "sur la traduction" أو "عن الترجمة"، معتبرا فعل الترجمة رهان صعب وأطلق عليه بالمحنة وهي معاناة مستديمة وامتحان[14]، لأن المترجم دوره تأويلي وعبر paradigme معين يحاول الجمع بين المتناقضات les paradoxe، أي بين الوفاء والخيانة، بين الأنا والغريب، بين المؤلف والقارئ، وهنا يعود ريكور إلى شلير ماخر الذي اعتبر محنة المترجم تكمن في محاولته تقريب الكاتب إلى القارئ والقارئ إلى الكاتب، ويكون المترجم :"في خدمة سيدين: الغريب داخل عمله، والقارئ ورغبته في التملك"[15]، وخطر الترجمة يكمن في محاولة المترجم أو المؤول أن يكون أمينا لمقاصد النص من جهة ومن جهة ثانية هناك القارئ الذي ينتظره والذي أعطاه كل الثقة لكي يكون وسيطا بينه وبين النص الأصلي، وبين الأمانة والخيانة تكمن معاناة المترجم، تقول سوزان باسنيت "دور المترجم هو الحفاظ على غرابة النص حتى يتيح للقارئ، أن يكشف النص بنفسه"[16].

فالترجمة إذا هي محاولة لنقل البذور إلى تربة مغايرة أو أخرى، إنها فعل تأويلي وكل تأويل يهدف إما إلى فهم المقاصد التي تسكن النص ومن ثمة فهم صاحب النص والسياقات التي أنتج فيها النص وإما فهم القارئ ذاته بكون النص آخر مساعد على فعل الفهم.

وإذا كانت الترجمة فعل تأويلي فإن هذا الفعل قد مارسه ريكور حيث جعل من النص وسيط médiateur بين الذات والآخر المغاير، وجسرا تعبر منه الأنا إلى الضفة الأخرى وتقيم هناك، وبعد الضيافة تعود إلى ذاتها فيحصل ما يسميه بفهم الذات la compréhension de soi كما مارس فعل الترجمة فقام بترجمة نصوص الأناجيل المختلفة والتوراة، هذه النصوص أثارت إشكالية الفهم la compréhension وإشكالية التأويل L'interprétation .

وقد اعتبر الترجمة بمثابة الفعل الخلاق الذي يعيد بناء اللغة من جديد كما فعل لوثر الذي ألبس الإنجيل روح اللغة الألمانية، وإذا كانت الترجمة فعل تأويلي فهي مرتبطة باللغة

واللغة طبيعة حوارية، مما يجعل من وظيفة المترجم خلق حوار بين لغتين مختلفتين أو أكثر وعبر الترجمة يحدث تداخل بين العوالم اللغوية فتنتج لغة جديدة بمعاني جديدة فيحدث الفهم ومن ثمة التفاهم بلغة غادمير، يقول غادمار: "إن اللغة هي بالأحرى الوسط الكلي الذي يحدث فيه الفهم، والفهم يحدث في التأويل"[17]. واللغة عند غادمير هي الحامل للتراث وسر استمراره، لهذا فعل ترجمة النصوص وتأويلها يصبح وسيلة لفهم تراث شعب ما وتاريخه وماضيه، وهنا يحذرنا غادمير من سلطة الماضي وإمكانية سيطرته على وعينا ويدعونا إلى ضرورة الوعي بأشكال حضور الماضي(التراث) في الحاضر وكيفية تأثيره على رؤيتنا لواقعنا، لأن الماضي مستمر فينا عن وعي أو دون وعي. وعليه فعندما نترجم نصوص الغير فنحن نتواصل مع منجزاته وتصوراته ومفاهيمه، يقول غادمير:" لا نص ولا كتاب يتكلم إذا لم يتكلم لغة تواصل الآخر"[18]. وفن الترجمة هو الوسيلة التي تفتح الأنا على تجارب الغير وتقلص المسافات ليتعرف كل طرف على الآخر وليس الهدف من فعل الترجمة اختزال المسافات.

وإذا اعتبرنا الترجمة فعل تأويلي فهي خلق مستمر للنص وسر خلود النصوص الكبرى، فالنص عبر الترجمة يسافر إلى بيئات مختلفة ويعاد إنتاجه باستمرار، مما يعني أن الترجمة هي بث الروح في النص ليحيا ويستمر، وكل ترجمة هي ابتعاد عن الأصل، تقول باسنيت: " الترجمة تحرك النص الأصلي حتى تنزع عنه التقديس، وتكسبه حركة تفتيت، وتشريدا في التيه، وضربا من المنفى الدائم"[19].

الترجمة عند ريكور هي مجال يجمع بين ما هو نظري وما هو عملي وهنا يرد على من يقول باستحالة الترجمة بسبب تعدد اللغات وتنافرها واختلافها، وترى سوزان باسنيت أن سؤال قابلية الترجمة أو هل الترجمة ممكنة؟ من الأسئلة السخيف[20]. لكن هل كل النصوص قابلة للترجمة وهل الترجمة كلية أم جزئية؟ هنا نجد عبد السلام بن عبد العالي مثلا يرى أن الترجمة لا تقول كل شيء أو تقول ما يريد النص البوح به.

ويعرض عبد السلام بن عبد العالي رؤيتين حول ما لا يقبل الترجمة، فدريدا مثلا يرى بإمكانية الترجمة، إلا أن فعل الترجمة معرض لجملة من الصعوبات الابستيمولوجية تجعل منه عسير، في حين بارت يقر بصعوبة الترجمة، ولكن هذا لا يعني التوقف عن فعل الترجمة والتراجع وإنما العمل على تذليل كل الصعاب واختراقها، فالترجمة عند دريدا يمكن أن تكون

وسيلة للتفاهم وتقليص المسافات، في حين بارت يرى أن فعل الترجمة يؤدي إلى سوء تفاهم أصلي un malentendu originaire لأن الترجمة فعل اختلافي وتعددي. وما لا يقبل الترجمة l'intraduisible هذا المفهوم يختلف من دريدا عنه عند بارت، فمثلا دريدا لا يهتم بهذا المفهوم ولا يتوقف عنده كثيرا، لأنه يضع هذا المفهوم خارج فعل الترجمة وعلى هامشه، ويعني به حدود الترجمة أو ما يستحيل ترجمته، في حين بارت يرى في فعل الترجمة تحد وصراع فإن ما لا يقبل الترجمة يتعلق بنقاط الاختلاف بين اللغات والثقافات، لذلك الترجمة فعل تواصلي يسهم في التقريب بين الثقافات واللغات، لهذا ما لا يمكن ترجمته في نظره هو ما يمكن ترجمته بطرق لا متناهية.

إن تصور بارت يعطي أهمية كبيرة لمصطلح ما لا يقبل الترجمة ويحاول أن يموضع المصطلح داخل عملية الترجمة ذاتها، فهو ما نترجمه، لهذا قام بارت بتفكيك المصطلحين أو عملية الترجمة بكون الترجمة واللاترجمة كلاهما يحدث في الآن ذاته، لهذا كل ما لا يقبل الترجمة ويتمنع عنها يصبح موضوعا للترجمة، فكلما واجهتنا صعوبات في فعل الترجمة كلما كان هناك مقاومة وإصرار على الترجمة، لتصبح الترجمة في نظر بارت هي حالة من التوتر الدائم، فما لا يقبل ترجمته اليوم قد يصبح قابلا للترجمة في المستقبل، مما يعني أن بارت يجعل من الترجمة فعل منفتح عكس دريدا الذي جعله فعلا منغلقا مرتبطا بزمان محدد، والترجمة في نظر بارت هي روح النص والضامن لاستمرار يته وخلوده، يقول عبد السلام بن عبد العالي: "الترجمة إبداع متواصل، وأنها حركة دائبة بين ألما يمكن وألما لا يمكن، وأنها لا يمكن أن تكون الآخر ذاته le même de l'autre، وأن النص المترجم ما يفتأ يعلق بترجمته، وأن كل ترجمة تظل شفافة لا تستبعد النص المترجم ولا تصبح بديلا عنه"[21].

الترجمة في نظر بارت هي التي تبث الروح في النصوص وتنقلها من ثقافة إلى أخرى أو في حالة ترحال دائم، فكل نص قابل للترجمة نص أصيل، أما النصوص الغير قابلة للترجمة فهي نصوص ميتة، فحياة النص مرهونة بقابليته للترجمة، وغير قابل في نفس الوقت، فإذا كان نص ما قابل للترجمة النهائية فهذا يعني أنه قابل للموت والفناء، وكل ترجمة تدعي أنها أمسكت بالنص من حيث المقاصد والمعنى تكون قد أعلنت عن موته، لهذا نتساءل هل الترجمة هي مجرد محاكاة أمينة للنص الأصلي أو المراد ترجمته أم الترجمة فعل تأويلي إبداعي؟

الترجمة الأمينة أو المحاكاة هي فعل سلبي لأنها تقتل حيوية النص ولا تبث فيه روح جديدة، أما الترجمة في أفق التأويل فهي ترجمة مبدعة وتسهم في إنتاج نصوص ثانوية قد تكون أكثر حيوية(النصوص الشارحة) كما هو في فلسفة "ابن رشد"، وكل ترجمة تسعى إلى نقل النص الأصلي من لغة إلى لغة وتحافظ عليه كما هو قدر المستطاع، أو تحاول أن تنتج نصا طبقا للأصل، عبر تطويعه للغة المراد الترجمة لها للمحافظة على النص في صورته الأصلية ترجمة سيئة، لأن الترجمة فعل إبداعي سواء تعلق الأمر بنقل نصوص من لغة إلى أخرى أو داخل لغة معينة، يقول عبد السلام بن عبد العالي: "إن مهمة المترجم، كما قال بنيامين، هي أن يسمح للنص بأن يبقى ويدوم، وفي هذا البقاء الذي لا يستحق هذا الاسم إن لم يكن تحولا وتجددا، يتحول النص الأصلي، أي أنه ينمو ويتكاثر. فترجمات نص هي ما يشكل "تاريخه"، ولكنه تاريخ ينطوي على صراع واختلاف. وما يرمي إليه ما دعوناه تصورا أول هو اختزال هذا الاختلاف اللغوي والثقافي والأيديولوجي) ورده إلى وحدة. فكأن مهمة الترجمة ليست أساسا إيجاد التوافقات وإنما الاختلافات"[22].

وتظل الترجمة فعل إنساني لا بد منه، ويشير ريكور إلى أن الإنسانية مارست هذا الفعل منذ القدم، مارسه التجار والرحالة والجواسيس والسفراء بحكم طبيعة عملهم، لكن علم الترجمة traductologieهو وليد اهتمام الفلاسفة والمفكرين[23]، لأن الفيلسوف تعامل مع الترجمة كموضوع للتفكير وليس مجرد أداة أو وسيلة، كما تناول ريكور فعل الترجمة le traduire من زاوية هيرمينوطيقية، معتبرا الترجمة فعلا تواصليا فهي تقوم بدور الوساطة médiation تنقل رسالة le message من نسق لغوي إلى نسق لغوي مغاير من حيث التركيبة النحوية، والترجمة تحت تأثير جاكبسون تصبح عند ريكور "لقاء مع الآخر"، مما يفيد أن الترجمة لم تعد فعل تواصلي بمعناه اللساني فحسب وإنما صارت متعددة الوظائف وهي ملتقى لجملة من العمليات: النفسية الاجتماعية ثقافية فلسفية.

2. في ضيافة الترجمة أو في إيتيقا فعل الترجمة:

للوقوف على المشكلات الإيتيقية التي تترتب عن فعل الترجمة قام ريكور بالتمييز بين نوعين من الترجمة، ترجمة داخلية traduction interne، وترجمة خارجية traduction externe،النوع الأول يتم في إطار اللغة الواحدة، في حين يتم النوع الثاني في إطار تعدد اللغات،

وهذا التقسيم قام به جاكبسون لكن جاكبسون أضاف الترجمة بين سيميائية. وإذا كان المترجم بمثابة الوسيط فالمهمة ليست بالسهلة لأن المترجم يكون في هذه الحالة في خدمة سيدين" الأجنبي في مؤلفه والقارئ في رغبته التملك لديه"، والمترجم بين المؤلف والقارئ وهنا المفارقة كيف يكون أمينا في نقل النص الأصلي إلى القارئ (الأمانة Fidélité) والأمانة مرتبطة بتلقي مضمون النص وتبليغه كما أراد المؤلف، وعليه فالمترجم أمام إشكالية الوقوع في الخيانة . مما يجعل الترجمة مشكلة إيتيقية un problème éthique لكن لماذا الترجمة مشكلة إيتيقية؟

الجواب هو أن المترجم في حالة خوف من الغريب لأنه يتهدد هويته اللغوية، لذا عمد ريكور إلى إعادة بناء مفهوم الترجمة واعتبرها لقاء مع الآخر une rencontre avec l'autre ليصبح فعل الترجمة فعل تواصلي عبر النصوص رغم اختلاف الهويات. يقول: "المترجمون يعرفون ذلك جيدا. إن النصوص وليست الجمل ولا الكلمات هي التي تريد ترجمة نصوصنا. والنصوص، بدورها، هي جزء من مجموعات ثقافية من خلالها نعبر عن رؤى مختلفة للعالم"[24]. والملاحظ أن ريكور عمل على تخليص فعل الترجمة من التصورات التقليدية التي تنظر للترجمة على أنها فعل تقني بحت لا تتعدى عملية نقل نص من لغة إلى لغة أخرى في مستوى الحرف، أي البحث عن المرادف في لغات مختلفة ليجعل ريكور من فعل الترجمة فعل تثاقفي، وقد عرف ليفي ستروس Claude lévi Strauss الثقافة بكونها: "مجموع العادات والمعتقدات والمؤسسات مثل: الفن والقانون، والدين، وتقنيات الحياة المادية، ..هي كل العادات والمهارات التي يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع"[25].

وكل ثقافة مرتبطة بكيان هوياتي قائم بذاته ومختلف عن باقي الكيانات الأخرى، وهذا الاختلاف هو شرط الحوار والتقارب بين الثقافات، كما هو شرط الاعتراف والتعرف بين الثقافات والكيانات الهوياتية المتنوعة، وفن الترجمة فعل بشري يهدف إلى التواصل والتعرف على الغير بكونه صاحب رؤية مختلفة، فهي آلية تمكن الشعوب من تأسيس هويات منفتحة على بعضها البعض بغض النظر عن العناصر المشكلة لكل هوية. كما أنها تنمي الشعور بضرورة التواصل والانفتاح على تجارب الغير، فيتحول الغير عبر فن الترجمة إلى شرط من شروط معرفة الذات، مما يعني أن الترجمة من أهم الوسائل التي تعزز روح الثقة والتسامح بين

الأفراد والجماعات، فهي تزيل كثيرا من الأوهام والأمراض والمخاوف، وتساعد على خلق تواصل وتفاهم بين الشعوب.

والمترجم الوفي يعني أنه يحترم الآخر، لأنه يحاول تقريب المؤلف من القارئ والقارئ من المؤلف، فهو في خدمة سيدين "الغريب في غرابته، والقارئ في رغبته وفضوله المعرفي" وهو يمارس الضيافة اللغوية hospitalité langagière'اوتعني استمتاع المترجم بالسكن في لغة الآخر والاستمتاع باستقبال لغة الغريب في بيت لغته، فالمترجم يحافظ على ما هو خاص وما هو غريب وهذا ما يعرف بمبدأ التكافؤ بدون هوية خاصة وبهذا الطرح توصل ريكور إلى ما يسميه الأخوة العالمية. ويكون بهذا الطرح قد عمل على أخلقة فعل الترجمة وارتقى بها من كونها مجرد وسيلة تقنية إلى وسيلة للتواصل والتعارف والتسامح والتعايش.

3. الترجمة أفقا للتسامح والحوار والاعتراف:

تكمن أهمية فلسفة ريكور في حديثه عن الإنسان المتحقق كما هو في واقعه كحقيقة تتطور في التاريخ، يقول عنه جورج زيناتي:" الفكر والحياة لديه يمتزجان ويتداخلان. لقد سافر كثيرا، وجاب البلدان من أجل الإنصات للآخر ومن أجل إرساء الحوار معه، رافضا كل تعصب وكل فكر أحادي"[26]. والإنسان مطالب في فلسفة ريكور بالخروج من ضعفه وقصوره، عن طريق تحطيم كل القيود التي تحاصر وجوده، والتي تشكلت بفعل بعده عن حقيقته التاريخية والطبيعية، فلابد أن يخلق الانسجام مع ذاته ومع العالم ومع الآخر المختلف، وكأن ريكور يتحول إلى فيلسوف تنويري ويواصل رسالة الأنوارPhilosophie des lumières ، رسالة تقوم على مبدأ الانفتاح على كل منتجات البشرية في كل مكان وفي كل لحظة تاريخية، لأن الذات لا يمكن لها أن تعي ذاتها إلا عبر الآخر، لهذا وجه نقدا للعقل الغربي محاولا تفكيك المركزيات في قوله:" ما زلنا في الغرب مستمرين بتقسيم تعليم التاريخ بل وحتى البحث بين العصر القديم وبين العصر الوسيط وبين الأزمنة الحديثة، وبين العالم المعاصر، مازلنا نذكر الدور الذي يعطيه بنفنيست إلى نقطة الصفر حسب الزمن التاريخي، ولادة المسيح للغرب المسيحي، والهجرة للإسلام"[27].

وإذا كان ريكور قد انتبه إلى دور فعل الترجمة في التأسيس لثقافة الحوار والتسامح بين الشعوب فإن امبرتو إيكو يقول: "الترجمة ليست عبارة عن نقل نص من لغة إلى لغة أخرى، ولكنها نقل من ثقافة إلى ثقافة أخرى، وعليه وجب على المترجم الانتباه إلى قواعد اللغة وعناصر الثقافة"[28]. وهذا التعريف لفعل الترجمة يحدد المسؤولية التي تقع على عاتق المترجم بكونه وسيط بين الثقافات، فإما يقرب بين الشعوب وتصوراتها وإما يباعد بينها، مما يفيد أن الترجمة ليست فعل تقني وإنما فعل إنساني له بعد ثقافي وحضاري لأن الترجمة تعني التعرف والاعتراف، التعرف على تراث الآخر وإنتاجه الفكري والمعرفي، والاعتراف برؤيته ومن ثم تصبح نوع من الاقتراب واللقاء، فالترجمة عامل من عوامل حفظ ذاكرة الشعوب وعبرها ينتقل التراث لتتداوله الأجيال (النصوص الخالدة).

وصارت الترجمة اليوم إحدى مؤشرات تقدم الأمم والشعوب فالأزمنة التي ازدهرت فيها حركة الترجمة عرف المجتمع ديناميكية فكرية وعلمية وثقافية كبرى . وعندما يضعف فعل الترجمة تضطرب حركية المجتمع في التاريخ، وتزداد الفوارق بين المجتمعات فهي عامل تقليص المسافات بين الثقافات، إنها فعل حواري.

ويمكن القول أن فن الترجمة ينمي التجربة الإنسانية ويغنيها فهي تقوم بدور المثاقفة culturation وهذا ما أكده الفرنسي روجي باستيد Roger bastide الذي يعتبر فعل المثاقفة ذلك التأثر المتبادل بين الثقافات عبر التواصل في مرحلة معينة، ولاشك كل ثقافة تحاول تحصين ذاتها وعناصر هويتها عبر ردود أفعال معينة فيمكنها أن ترفض بعض العناصر وتقبل بعض العناصر الأخرى، كما يمكنها أن تدمج بعض العناصر في كينونتها وبمرور الوقت تصبح تلك العناصر طبيعية، وفعل التفاعل والتكيف قد يكون مصحوبا بالوعي وقد تتسرب بعض العناصر إلى الثقافة دون وعي وتتموقع داخل كيان الثقافة فتحدث تغيرا جزئيا أو جذريا في كيان الثقافة وجسمها.

ودور المترجم في هذه الحالة لا يقتصر على نقل معنى من لغة إلى أخرى وإنما المساهمة في تسهيل عمليات الفهم والتواصل بين الشعوب بناء على قاعدة أن فهم الذات مرهون بفهم تصور الآخر عن الذات، والترجمة تفتح الإنسان على عوالم أخرى ولغات مختلفة وهذا الانفتاح هو انفتاح على إمكانات اللغة الأصل وإمكانات اللغة المراد الترجمة منها واليها، فهي تسهم في

إنماء ثقافة التسامح والحوار الثقافي والفكري بين الشعوب. والمطلوب بعد تحليلنا لظاهرة الترجمة كفعل تواصلي ضرورة:

- مأسسة فعل الترجمة.

- أخلقة فعل الترجمة.

إن فعل الترجمة فعل تواصلي يمكننا من تبادل الخبرات بين الشعوب ويفتح التجارب على بعضها البعض، خاصة إذا تعلق فعل الترجمة بنصوص الفلاسفة التأسيسيين، لكن فعل الترجمة لا يعني مجرد نقل نص من لغة إلى لغة مغايرة، وإنما الترجمة لها شروط وضوابط، فهي ليست اجتهاد فردي وإنما هي فعل مؤسساتي، وقد انتبه القدامى إلى أهمية الترجمة ودورها في تقارب الثقافات وانفتاحها على بعضها البعض، وقد تكون الترجمة مباشرة من لغة إلى أخرى أو تكون غير مباشرة بمعنى توجد لغة ثالثة تتوسط العملية، فمثلا بعض مفكرينا في التراث الإسلامي لم ينقلوا نصوص الفلسفة اليونانية من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي مباشرة وإنما اعتمدوا بعض اللغات وسيطا مثل السريالية والعبرية، كما أن الغرب لم ينقل التراث اليوناني مباشرة وإنما جعل اللغة العربية والفارسية وسيطا، ورغم ما في تلك الترجمات من ضعف بعضها وما شابها من أخطاء في مستوى الشروحات أو نسبة بعض النصوص لغير أصحابها الفعليين، إلا أن الترجمة فعل إنساني وحضاري لا بد منه، يقول عبد السلام بن عبد العالي: "كنا ننقل في الأغلب عن غير اللغات الأم، عن لغات وسيطة كما يقال، إلا أن نقلنا ذاك كان لا ينفصل عن مخاض فلسفي أو هم فكري على الأقل، كانت الترجمات على علاتها تواكب جدالا ثقافيا عاما"[29].

إننا بحاجة إلى إعادة بناء مفهوم الترجمة ومأسسة الفعل، فهي أداة وموضوع في نفس الوقت، حيث صار فعل الترجمة اليوم فعلا تواصليا، وليس مجرد وسيلة لنقل النصوص وتوفيرها، كل ترجمة هي في الأصل إعادة تأويل أولا للنص الأصلي وثانيا تأويل للذات، بمعنى الغاية من الترجمة في المرحلة الأولى محاولة معرفة مقاصد النص وما تضمنه من معاني، وفي المرحلة الثانية هي محاولة لفهم الذات القارئة لنفسها عبر فعل الترجمة والقراءة.

– خاتمة:

بعد تحليلنا لسؤال الترجمة بكونها فنا للحوار والتسامح بين الثقافات والشعوب، يمكن أن نخلص إلى بعض النتائج والتوصيات التي أراها مهمة وضرورية اليوم ومنها:

- إن الترجمة من بين الفنون التي ينبغي الانتباه إليها بكونها من أهم الوسائل التي تقرب الشعوب عبر الانفتاح المتبادل في ظل الاعتراف بالاختلاف كحق طبيعي.

- إن إشكالية الترجمة لا تتعلق بدرجة التكافؤ بين اللغات، وإنما هي فعل مركب يهدف إلى التقارب والتفاهم مع الآخر المغاير عبر فتح النص على ممكنات كثيرة، كما أنها ليست محاولة للهيمنة على الآخر وتقريبه للذات وإنما الترجمة فعل منفتح يفتح الثقافات على بعضها البعض فهي فعل حواري يضمن ما يسمى بحق الضيافة.

- الترجمة تتم بين اللغات مما يعني بناء علائق بين اللغات وتبادل مستمر وإثراء، إنها انفتاح على الغيرية.

- الترجمة في نظرنا فعل حواري وتفاعلي وتواصلي واستكشافي يساعدنا على تقريب المسافات وتبادل الخبرات، كما أنها فعل يجعل من اللغة أكثر ليونة فتصبح قابلة على استقبال مفاهيم ومصطلحات ودمجها في قاموسها، فهي تفصح عن إمكانات اللغة في كلتا الضفتين، لذلك اللغة لا تعني مجرد التعبير عن مصطلحات ودلالات بألفاظ مغايرة، بقدر ماهي وسيلة لإثراء المعنى.

- الترجمة هي ما يجعل المستحيل ممكننا، فإذا كان واقع العلاقات بين الثقافات والشعوب محكوم بالتنافر، فإن الترجمة المسؤولة يمكن أن تنتقل بالمجتمعات من حالة العنف إلى حالة التسامح، بكون الترجمة وسيلة للتعرف والاعتراف.

- ضرورة مأسسة فعل الترجمة في مجتمعاتنا العربية عبر إقامة مؤسسات مختصة تجمع بين مختلف التخصصات للقيام بفعل الترجمة في أفق أخلاقي وقانوني مسؤول. لأن الترجمة تسمح لمجتمعاتنا من تلقي المعرفة ومسايرتها زمنيا.

- الهوامش والإحالات:

1- *Michael Foessel et Favien Lamauche, Paul Ricœur. Textes choisis (Anthologie) .2dition du Seuil. Mars.2007.p30*

[2] - *Ibid. p07*

[3] - *François Dosse, Paul Ricœur ,Un philosophe dans son siècle ,2012 ,P46*

[4] - *Jacques Derrida, La parole Donner nommer, Appeler,(Myrian Revault DAllonnes et François Azouvi. Paul Ricoeur,(l'Herne),Editions de l'Herne ,Paris,2004,p19*

[5] - *Glenda Ballantyne, Creativity and critique (Subjectivity and agency in Touraine and Ricoeur), Editions Brill, Leiden.Boston, 2007, P.17.*

[6]- جورج زيناتي، ضمن مقدمة الذات عينها كآخر، ترجمة وتقديم وتعليق جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان،ط1، 2005، ص68.

[7]- نفس المصدر، ص50.

[8]- نفس المصدر، ص72/71.

[9] -Michael Foessel et Favien Lamauche ,Paul Ricœur ,Textes choisis (Anthologie), Op.cit., p47.

[10] -Johann Michel, Ricœur et ses contemporains. Bourdieu. Derrida. Deleuze. Foucault Castoriadis. Presses universitaires de France. 2013. ,p121

[11]-بول ريكور، الذات عينها كآخر، مصدر سابق، ص93

[12]- ريتشارد كيرني، دوائر الهيرمينوطيا عن بول ريكور، ترجمة سمير مندي، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009، ص ص15/14.

[13] -Vinicio BUSACCHI. Pour une Herméneutique critique études autour de Paul Ricœur. LHormattan. Paris .2013 ,p23

[14]-بول ريكور، عن الترجمة، ترجمة حسين خمري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص15

[15]-بول ريكور، عن الترجمة، نفس المصدر، ص16.

[16]- سوزان باسنيت، أندريه ليفيفير، بناء الثقافات مقالات في الترجمة الأدبية، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2015، ص24.

[17]- هانز جورج غادمير، الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار أويا، ليبيا، طرابلس، ط1، 2007، ص511.

[18]-نفس المرجع، ص521.

[19]- سوزان باسنيت، أندريه ليفيفير، بناء الثقافات مقالات في الترجمة الأدبية، مرجع سابق، ص27.

[20]-المرجع نفسه، ص26.

[21]- عبد السلام بنعبد العالي، الفلسفة أداةّ للحوار، دار توبقال للنشر، المغرب،ط1 ،2011، ص27

[22]- نفس المرجع، ص44.

[23]-بول ريكور، عن الترجمة، مصدر سابق، ص21.

[24]-نفس المصدر، ص60.

[25]- ليفي ستروس، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ترجمة عبد الرزاق الداوي، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص83.

[26]- جورج زيناتي، بول ريكور ينصت الى العالم، ضمن كتاب ريكور والهيرمينوطيقا، تحرير احمد عبد الحليم عطية، ط1، دار الفارابي بيروت لبنان، 2011،ص218.

[27]- بول ريكور، الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2009، ص240.

[28] - Umberto ECO : Dire presque la même chose. Expériences de traduction, traduit de l'italien par BOUZAHER Myriem, Bernard Grasset, Paris, 2006, p. 190.

[29]- عبد السلام بنعبد العالي، الفلسفة أداةّ للحوار، مرجع سابق، ص36.

- قائمة المصادر والمراجع:

1- بول ريكور، الذات عينها كآخر، ترجمة وتقديم وتعليق جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت. لبنان،ط1، 2005.

2- بول ريكور، عن الترجمة، ترجمة حسين خمري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

3- ريتشارد كيرني، دوائر الهيرمينوطيا عن بول ريكور، ترجمة سمير مندي، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009.

4- سوزان باسنيت، أندريه ليفيفير، بناء الثقافات مقالات في الترجمة الأدبية، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2015.

5- هانز جورج غادمير، الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار أويا، ليبيا، طرابلس، ط1، 2007.

6- ليفي ستروس، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ترجمة عبد الرزاق الداوي، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

7- جورج زيناتي، بول ريكور ينصت الى العالم، ضمن كتاب ريكور والهيرمينوطيقا، تحرير احمد عبد الحليم عطية، ط1، دار الفارابي بيروت لبنان، 2011.

8- Umberto ECO , Dire presque la même chose, Expériences de traduction, traduit de l'italien par BOUZAHER Myriem, Bernard Grasset, Paris, 2006.

9- Vinicio BUSACCHI, Pour une Herméneutique critique études autour de Paul Ricœur. LHormattan. Paris .2013.

10-*Michael Foessel et Favien Lamauche, Paul Ricœur, Textes choisis (Anthologie) .2dition du Seuil. Mars.2007.*

11-François Dosse ,Paul Ricœur ,Un philosophe dans son siècle ,2012

12-Jacques Derrida, La parole Donner nommer, Appeler,(Myrian Revault DAllonnes et François Azouvi, Paul Ricœur,(l'Herne),Editions de l'Herne, Paris, 2004.

13-Glenda Ballantyne, Creativity and critique (Subjectivity and agency in Touraine and Ricoeur), Editions Brill, Leiden.Boston, 2007.

14-Johann Michel, Ricœur et ses contemporains. Bourdieu. Derrida, Deleuze, Foucault Castoriadis, presses universitaires de France. 2013.